

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[440] هنا يتبادر إلى الذهن فوراً السؤال التالي: إذا كانت الأمر كذلك، فماذا تكون

قضية شفاع الشفعاء؟ وللإجابة على هذا التساؤل تقول الآية التي بعدها: لو كان هناك شفعاء لدى الله تعالى فانهم لا يشفعون إلا بإذنه وأمره (ولا تنفع الشفاعه عنده إلا لمن أذن له). وعليه فإن العذر الذي يتعلل به الوثنيون بقولهم: (هؤلاء شفعائنا عند الله) (1)، ينتهي بهذا الجواب، وهو أن الله سبحانه وتعالى، لم يجر شفاعتها أبداً. أمّا جملة (إلا لمن أذن له) فهي إشارة إلى الشافعين أو إلى المشفوع لهم. إحتمل المفسرون الإحتمالين، وإن كان يناسب ما ورد في الآية السابقة من الحديث حول الأصنام وأولئك الذين توهّموا أنّها شفعائهم، أن تكون الإشارة إلى "الشافعين". ثم هل أن المقصود من "الشفاعة" هنا شفاع الدنيا، أم الآخرة؟ كلا الإحتمالين واردان، ولكن الجملة التي تلي ذلك تدل على أن المقصود هو شفاع الآخرة. لذا تقول العبارة بعدها بأنّه في ذلك اليوم تهيمن الوحشة والإضطراب على القلوب، ويستولي القلق على الشافعين والمشفوع لهم بانتظار أن يروا لمن يأمر الله بجواز الشفاعه؟ وعلى من ستجوز تلك الشفاعه؟ وتستمر حالة القلق والإضطراب، حتّى حين . . فيزول ذلك الفزع والإضطراب عن القلوب بصدور الأمر الإلهي. (حتّى إذا فزع عن قلوبهم) (2). على كل حال فذلك يوم الفزع، وعيون الذين يطمعون بالشفاعة تعلّقت بالشفعاء، ملتصقة منهم الشفاعه بلسان الحال أو بالقول. ولكن الشفعاء أيضاً ينتظرون أمر الله، كيف؟ ولمن سيجيز الشفاعه؟ ويبقى ذلك الفزع وذلك _____ 1 - يونس، 18. 2 - (فزع) من مادّة "فزع"، وفي وقت تعدّيها بحرف الجرّ (عن) تكون بمعنى إزالة الفزع والوحشة والإضطراب، كذلك لو وردت بصورة الثلاثي المجرّد وتعدّت بحرف الجرّ (عن) يكون لها نفس المعنى أيضاً.